تفسير سورة التين
دراسة تحليلية

إعداد:

د. نبيلة حامد محمد على

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق

الملخص :

يدور البحث حول آيات الخشوع في القرآن، ويعتمد على منهج الدراسة الموضوعية للمصطلح القرآني المعروف في الدراسات القرآنية، وقد ذكرت في المبحث الأول خلاصة ما قرره أهل اللغة في معنى الخشوع، وبينت في المبحث الثاني الفرق بين الخشوع وبين ما يقاربه من الألفاظ كالخضوع والخنوع، وفي المبحث الثالث ذكرت معاني (الخشوع) التي يرجع إليها في القرآن نقلًا عن أصحاب (الوجوه والنظائر) وبعض المفسرين، وعقّبت عليها وبينت ما فيها وذلك بمقارنتها بالمعنى اللغوي المقرّر في المبحث الأول، وفي المبحث الرابع الأخير درست تلك الآيات دراسة موضوعية، وذلك بإحصاء صِيَغ واشتقاقات الخشوع في القرآن وذكر مواضعها تفصيلًا، ثم بينت المسنَد إليه في آيات الخشوع، وأردفت ذلك بالكلام عن الاستعمال القرآني لمادة (خ ش ع) الدائر بين الحقيقة والمجاز العقلي والاستعارة والتمثيل والكناية، وختمت الدراسة ببيان العلاقة بين استعمال القرآن لمادة (خ ش ع) وعلاقته بالمعنى اللغوي المقرَّر في أول المباحث، وذيّلت البحث بمسرد للمصادر والمراجع، وفهارس عامة.

Abstract

Surah Al-Teen has several great meanings, the most important of which is that it speaks of the common sense of man. God refers to the instinct of figs, which is a delicious fruit but quickly spoils. This is a reference to the healthy human instinct that God created man, but it soon changes and changes. That Islam preserves this instinct of change, and this is the mention of olives with figs .

Where the images of God to the stability and non-change, where the images of God with two plants and two places, namely: the Sinai and Mecca, figs and olives, the conditions in the phase of Senin changed and changed, but in Mecca has remained the sanctity of the place are present and fixed to the day, And how does God make his people the best of the calendar, and make it the best body, and how the human will respond to the cradle of life, and will not benefit only good work, so there is nothing to make him lie in religion, as includes the Altin important reminder of the human first loss, and how God made Adam He descends from Paradise down to Savlin, the land because of his commission Disobedience.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحَمدُ للهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ، وَأَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ

وبعـــــد...

فإن الله أنزل القرآن العظيم لتدبره والعمل به قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[1] ، ومن سور القرآن العظيم التي تتكرر على أسماعنا ونحن بحاجة إلى تدبرها ومعرفة ما فيها من الحكم العظيمة والفوائد الجليلة.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة ، وتمهيد ، وخمسة مباحث ، وخاتمة

أما **التمهيد** فعنوانه : معلومات عامة عن السورة.

وأما المباحث فهي :

المبحث الأول : التفسير الإجمالى للسورة الكريمة.

المبحث الثاني : فطرة الأنسان وقابليتها للتغيير بحسب عمله.

المبحث الثالث: من الدلالات العلمية للآيات القرآنية الكريمة في مطلع

---

١) سورة محمد: ٢٤

سورة التين.

المبحث الرابع : تذكير الإنسان بتكريم الخالق عز وجل له وجعله في أحسن تقويم.

المبحث الخامس : عدل الله تعالى في الحساب والجزاء.

أما **الخاتمة** ففيها أهم النتائج .

قائمة بأهم المراجع

تمهيد

معلومات عامة عن السورة.

١- نص سورة التين

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [١].

٢- أسماء السورة وعدد آياتها:

سورة التين من سور القرآن الكريم المكيّة، أي نزلت على رسول الله – عليه الصلاة والسلام– قبل الهجرة النبوية الشريفة، وترتيبها في المصحف الشريف السورة الخامسة والتسعون، وعدد آياتها ثماني آيات، وسُمّيت سورة التين بهذا الاسم لورود ذكر نبات التين فيها، افتتحت بقوله تعالى: ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾[٢]. وقد ورد ذكر مكة المكرمة في السورة، حيث وصفها الله تعالى بالبلد الأمين.

---

١) سورة التين: ١–٨

٢) سورة التين: ١

٣- فضل سورة التين

لسورة التين فضلٌ كبيرٌ كما لجميع سور القرآن الكريم فضل، ومن عظيم فضل سورة التين أن الله تعالى يُقسم في بدايتها بالتين والزيتون، وهذه إشارة كبيرة إلى هاتين النبتتين المفيدتين، وإشارة إلى عظيم نعم الله تعالى الذي أنعم على عباده بهما ، كما أنّ هذه السورة العظيمة تُرشد الإنسان للحفاظ على فطرته سليمة كما خلقها الله عليه؛ لأن الفطرة السليمة هي أساس دخول الجنة، والمعاصي هي أساس هبوط الإنسان إلى أسفل سافلين.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما مِن حَدِيثِ البَرَاءِ ابنِ عَازِبٍ رضي اللهُ عنهما: "أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم كَانَ فِي سَفَرٍ، فَقَرَأَ فِي الْعِشَاءِ فِي إِحْدَى الرَّكْعَتَيْنِ بِالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ" . فَمَا سَمِعتُ أَحَدًا أَحسَنَ صَوتًا مِنهُ. (١)

١) "صحيح البخاري" (برقم ٧٦٧)، و"صحيح مسلم" (برقم ٤٦٤).

المبحث الأول
التفسير الإجمالى للسورة الكريمة

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ قال ابنُ عباسٍ والحسنُ ومجاهدٌ وغيرهُمُ: "هو تينكم الذي تأكلون، وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴾ (١) " (٢) .

قال القرطبي: "﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ ﴾ يريدُ شجرةَ الزيتونَ، وأفردها بالذكر لعظيم منافعها في أرض الشامِ والحجازِ وغيرهما من البلاد وقلة تعاهدها بالسقي والحفر وغير ذلك من المراعاة في سائر الأشجار"(٣) .

وقال بعض المفسرين: وإنما أقسم الله بالتين لأنه كان ستر آدم في الجنة لِقَولِهِ تَعَالَى ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ (٤) ، وكان ورق التين والزيتون شجرة مباركة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾ (٥).

---

١) المؤمنون: ٢٠
٢) "الجامع لأحكام القرآن" (٢٢ /٣٦٣).
٣) "الجامع لأحكام القرآن" (١٥ /٢٧).
٤) الأعراف: ٢٢
٥) النور: ٣٥

وينتفع به في الدهن والاصطباغ كما يسرج به فهو أَضْوَأُ وأصفى الأدهان، ويستعمل حطب هذه الشجرة للوقود، كما أن للزيتون فوائد طيبة عظيمة، وقد ذكر في مزاياها أنها شجرة تورق من أعلاها إلى أسفلها، وأن زيتها لا يحتاج في استخراجه إلى إعصار، بل كل أحد يستخرجه بسهولة، كما أنه يُعالج القروح والجراحات(١) .

روى الترمذي في سننه مِن حَدِيثِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي اللهُ عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ: "كُلُوا مِنَ الزَّيْتِ وَادَّهِنُوا بِهِ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ"(٢) .

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ هو الجبل الذي كلَّم الله عليه موسى عليه السلام، وإنما أقسم بالجبل لأنه بالشام وبالأرض المقدسة وقد بارك الله فيهما، قَالَ تَعَالَى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ (٣) .

---

١) "تفسير البغوي" (٢ /٤٧)، "زاد المسير" لابن الجوزي (٦ /٤٣)، "التبرك أنواعه وأحكامه" (ص١٨٨).

٢) "سنن الترمذي" (برقم ١٨٥١)، وحسنه الشيخ الألباني في "السلسلة الصحيحة (٢ /٧٢٤) (برقم ٣٧٩).

٣) الإسراء: ١

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِين ﴾ هو مكة، قال ابن كثير: ولا خلاف في ذلك، وقد أقسم الله بمكة لأنها أحب البقاع إلى الله، وأشرف البقاع عند الله.

وقد أقسم الله بهذه الأشياء الأربعة: التين، والزيتون، وطور سينين، والبلد الأمين.

قال بعض الأئمة: هذه محال ثلاثة بعث الله في كل واحد منها نبيًا مرسلًا من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار،فالأول: محلة التين والزيتون، وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى ابن مريم، والثاني: طور سينين، وهو الذي كلم الله فيه موسى بن عمران، والثالث: مكة وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمنًا، وهو الذي أرسل فيه محمدًا صلى اللهُ عليه وسلم(١) .

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيم ﴾ هذا جواب القسم، والمراد أن الله تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة وشكل منتصب القامة سوي الأعضاء حسنها، قال ابن العربي: ليس لله تعالى خلق أحسن من الإنسان، فإن الله خلقه حيًّا عالمًا قادرًا مريدًا متكلمًا سميعًا بصيرًا مدبرًا حكيمًا(٢) .

---

١) "تفسير ابن كثير" (١٤ /٣٩٥).
٢) "تفسير القرطبي" (٢٢ /٣٦٨ – ٣٦٩).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾[1].

قَولُهُ تَعَالَى: { ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِين } أي: إلى النار، قال ابن كثير: ثم بعد هذا الحسن والنضارة مصيره إلى النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل، ولهذا قال: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ فإنهم لا يردون إلى أسفل السافلين[2] .

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُون ﴾ أي: غير منقوص ولا منقطع.

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴾ أي: فأي شيء يجعلك أيها الإنسان بعد هذا البيان لا تصدق بيوم الحساب وقد علمت البدأة وعرفت أن من قدر على البدأة فهو قادر على الرجعة بطريق الأولى، فأي شيء يحملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا.

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِين ﴾ أي: أما هو أحكم الحاكمين الذي لا يجور ولا يظلم أحدًا، ومن عدله أن يقيم القيامة فينصف المظلوم

---

١) الإنسان: ٢

٢) "تفسير ابن كثير" (١٤ /٣٩٥).

في الدنيا ممن ظلمه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾(١).

وفي الحديث الذي رواه مسلم مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ رضي اللهُ عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ: "لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ"(٢) .

١) الأنبياء: ٤٧

٢) "صحيح مسلم" (برقم ٢٥٨٢).

المبحث الثاني
فطرة الأنسان وقابليتها للتغيير بحسب عمله

قوله تعالى (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ):

التين من الفواكه التي لا تلبث حتى تفسد، ويصعب حفظها، ويمكن أن نرمز لمن يبدل دينه أو أن ينتكث عن فطرته السليمة بتلك الفاكهة الطيبة، التي تتغيير وتتبدل هيئتها من الطازجة إلى الفاسدة في وقت قصير، ومن ثم ذكر بعض العلماء أن القرآن الكريم يرمز إلى تغير الفطرة بالتين، يقول الإمام البقاعي: (ولما كان التين أحسن الفواكه تقويماً فيما ذكروا من فضيلته...فكان جامعاً لجميع منافع المتناولات من الغذاء والتفكه والتحلي والتداوي...، مع أنه ينتفع به رطباً ويابساً، فهو مع ذلك في سرعة فساده وسوء تغيره أسفلها رتبة وأردؤها مغبة، فهو كالفطرة الأولى في مبدئه سهولة وحسناً وقبولاً لكل من الإصلاح والتغير، بحيث إنه لا ينتفع بشيء منه إذا تغير، وغيره من الفواكه إذا فسد جانب منه بقي آخر) [1]، قال تعالى ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ

١) تفسير البقاعي – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج٨ ص٤٧٠

هَوَاهُ. . . ﴾[1] ، يقول النبي – صلى الله عليه وسلم – (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء(٢) هل تحسون فيها من جدعاء(٣)(٤) ، يقول أبو هريرة تعليقا على هذا الحديث اقرؤا إن شئتم ﴿ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[5] [6] .

ونحن نعلم أن بني إسرائيل نجاهم الله تعالى من عذاب فرعون حيث كان يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم حتى جاءهم موسى لينقذهم من عذابه ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[7]، لكن لما نجاهم الله تعالى سرعان ما تبدلت فطرتهم، فبعد أن كانوا يلتفون حول موسى كزعيم لهم

---

١) الأعراف: ١٧٥-١٧٦

٢) تامة الأعضاء مستوية الخلق.

٣) مقطوعة الأذن أو الأنف أو غير ذلك أي إن الناس يفعلون بها ذلك فكذلك يفعلون بالولود الذي يولد على الفطرة السليمة.

٤) رواه البخاري ج ١ ص ٤٥٦ رقم ١٢٩٢.

٥) الروم: ٣٠

٦) رواه مسلم ج ٤ ص ٢٠٤٧ رقم ٢٦٥٨.

٧) الأعراف: ١٢٩

لينقذهم من عبادة فرعون فإذا بهم يشتغلون عنه، ويثورون عليه ليتمنون لأنفسهم عبادة الأصنام بدلا من عبادة الله وحده ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ * وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١) ، بل إن الأعجب من ذلك أن يعبدوا عجلا له خوار بدلا من يتوجهوا بقلوبهم لرب العالمين بإخلاص ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ (٢).

وفي المقابل نجد صورة الثبات على الحق في ثمرة الزيتون حيث يرمز الزيتون إلى ثبات الهيئة وعدم تغير الحال، فهو خير إدام ينتفع به الناس كمؤنة لفترات طويلة من الزمان، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

١) الأعراف: ١٣٧-١٣٩

٢) الأعراف: ١٤٨

(كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة) (١) ، يقول الإمام البقاعي: (ولما كان الزيتون في عدم فساد يطرقه أو تغير يلحقه، وهو إدام ودواء مع تهيئه للنفع بكل حال.. وغير ذلك من المنافع... كالمؤمن) (٢)، ولذلك مدح المولى سبحانه شجرة الزيتون وضرب بها المثل على الهدى والنور، فقال سبحانه ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣) ، انظر كيف يستمد النور من الزيتون، بل ويعكس الزيتون نوره على وجه المؤمن، حيث يزيده نضرة على نضاره

قوله تعالى (وَطُورِ سِينِينَ):

كما آشارت الآيات إلى أنه رغم أن الأصل أن الفطر سليمة لكن يتبدل الدين كما حدث بطور سنين، فهذه البقعة المباركة التي تجلى الله فيها

---

١) رواه الترمذي ج٧ ص ٤٤ رقم ١٧٧٤ وصححه الألباني: الجامع الصغير ج١ ص٨٦٣ رقم ٨٦٢٧.

٢) تفسير البقاعي نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج٨ ص٤٧٠ بتصرف

٣) النور: ٣٥

لجبل الطور فخر دكا، وفيها أنزلت التوراة على موسى عليه السلام، وعليها كلمه الله تعالى تكليما، قال سبحانه ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١)، وعن النبي – صلى الله عليه وسلم – (أنذرتكم المسيح وهو ممسوح العين قال أحسبه قال اليسرى يسير معه جبال الخبز ونهار الماء علامته يمكث في الأرض أربعين صباحا يبلغ سلطانه كل منهل لا يأتي أربعة مساجد الكعبة ومسجد الرسول والمسجد الأقصى والطور) (٢) .

يقول الإمام البقاعي: (ولما كان مع ذلك مشاراً بهما إلى مواضع نباتهما وهي الأرض المقدسة من جميع بلاد الشام إيماء إلى من كان بها من الأنبياء والتابعين لهم بإحسان لا سيما إبراهيم عليه الصلاة والسلام.. ومن بعده أولاده الذين طهرها الله بهم من الشرك وأنارها بهم **بالتوحيد، وختمهم بعيسى عليه الصلاة والسلام)** (٣)، فهناك علاقة وثيقة بين طور سيناء وشجرة الزيتون، وقد أكدها القرآن في قوله سبحانه ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴾ (٤) ، وهو ما

---

١) القصص: ٣٠

٢) رواه أحمد ج٥ ص ٣٦٤ رقم ٢٣١٣٩ – قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

٣) تفسير البقاعي نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج٨ ص٤٧١ بتصرف

٤) المؤمنون: ٢٠

يلفت النظر إلى استعانة أهل الشام بهذه الشجرة حتى يتقووا بها على عبادة الله تعالى.

وبالرغم مما تقدم، ورغم قدسية المكان، فإن أهل المعصية لم يراعوا ذلك، ففي هذا المكان أيضا عبد بنو إسرائيل العجل، فالناظر في هذه الأرض المباركة ورغم أنها كانت مهبط الوحي وأرض الرسالات السماوية ومبعث الأنبياء، وكما كلم الله عليها موسى تكليما إلا أن الناس بعد ذلك قد تناسوا هذه الحقيقة فبدلوا الدين وسمحوا لأهل المعاصي أن يدنسوا تلك الأرض المباركة، لذا فإن الله سبحانه يشبه فساد صنيعهم بفساد ذلك التين بعد نضوجه لا ينفع بشيء، كما أن أرض طور سيناء أضحت ذكرى لأولئك الصالحين، ثم هي تتداول بين أهل الفسق والفجور أو الكفر والعصيان، فأين الإيمان الذي بدأ بها ؟ تبدل فنزل هذا الحال بالإنسان إلى أسفل سافلين، حيث ينزل الإنسان بعبادة العجل إلى مرتبة أقل من البهائم التي لا تزال تسبح لله تعالى، ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾[1] ، فدنسوا الأرض المقدسة بتلك المعصية، يقول الله سبحانه ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴾[2] ،

١) الإسراء: ٤٤
٢) البقرة: ٥١

فلما فعل أهل المعاصي ما فعلوا وبدلوا الدين الذي جاءهم حل عليهم العذاب فكانت تلك الأرض رغم أنها كانت من قبل أرض بركة ومهبط الوحي والرسالات أضحت بعد هذه المعصية أرض لعنة وعذاب لأولئك العصاه، يقول المولى سبحانه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾[1] ، وقد كتب الله تعالى على بني إسرائيل التيه في هذه الأرض أربعين سنة عقابا لهم، إذ قال سبحانه ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾[2]، فالعبرة ليست بالبلد بقدر الاعتبار بصلاح أهلها أو فسادهم.

شبهة والرد عليها :

قوله تعالى ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾: فلماذا قال سينين بالجمع عن سيناء؟

فمن الخطأ لغوياً تغيير اسم العَلَمَ حباً فى السجع المتكلف.

والرد على ذلك كما يلي:

ليست " سينين " جمعاً كما توهم مثيرو هذه الشبهات، الذين يقفون عند ظواهر الكلمات فإن وجدوا فيها ما يشبع رغبتهم فى التشفى من القرآن

---

١) الأعراف: ١٥٢

٢) المائدة: ٢٦

والتحامل عليه ملأوا الدنيا ضجيجاً، وإن لم يجدوا ملأت قلوبهم الحسرة، ورجعوا خائبين.. نعم ليست " سينين " جمعاً كما زعموا، بل هى لغة فى "سيناء" بكسر السين، كما أن " سَيناء " بفتح السين لغة فيها. وبهاتين اللغتين: سِيناء، بالكسر، وسَيناء بالفتح وردت القراءات، فهى إذن فى القرآن لها ثلاثة لغات:

-سِيناء بكسر السين.

-سَيناء بفتح السين.

-وسِنيين، بكسر السين وياءين ونونين.

كما أن البلد الحرام لها فى القرآن عدة أسماء.

-بكة

-أم القرى

-البلد الأمين[1].

قوله تعالى ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ :

كما أشارت الآيات إلى مركز وأصل الفطرة السليمة ورسوخها إلى يوم الدين (مكة المكرمة)، فحكمة الله تعالى ومشيئته ارتضت أن تجعل في الأرض مركزا دائما للإيمان لا يتغير ولا يتبدل، هذا المركز خصه بالأمن

---

١) انظر: من إعجاز القرآن، العلم الأعجمى مفسراً بالقرآن (١٦٧/٢) للأستاذ رؤوف سعد.

والإيمان وذلك حتى يكون بقعة مباركة يأوي إليها الناس في أوقات ينتشر فيها الظلم والاضطهاد، حيث يود العبد أن يستشعر بعضا من السكينة والإيمان خروجا من هذا الظلم والطغيان، فهذا البلد هو أمين على الدعوة الإسلامية الصحيحة، ففيه من الهدى والآيات البينات ما يحق معه وصفه بالبيت الأمين، يقول المولى سبحانه ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾(١) هذا المركز الإيماني خصه الله تعالى بهذه الفضيلة في الوقت الذي انتشر الظلم من حوله، يقول سبحانه ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾(٢).

إذ لا شك أن أكثر مكان يُعبد فيه الله على وجه هذه الأرض تلك البقعة المباركة، وهذا البلد الطيب الذي استجاب الله تعالى فيه دعوة نبيه إبراهيم عليه السلام، قال سبحانه ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ.. ﴾(٣) ، فكان الخير والرزق

١) آل عمران: ٩٦- ٩٧
٢) العنكبوت: ٦٧
٣) البقرة: ١٢٦

والأمن والإيمان في هذا البلد إلى يوم القيامة بإذن الله تعالى، وقد شملت دعوته أن تهوي قلوب المسلمين إلى هذا البلد كي تجدد العهد مع الله تعالى، فتحجه وتقصده عاما بعد عام وتعمره في كل وقت.

يقول سبحانه ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[1] ، فمن الضروري أن يكون للمسلمين مركزا إيمانيا لا يتغير أبدا ولا يتبدل يسترشدون به ويهتدون إليه في وقت تتغير فيه كثير من الأمور وتتبدل فيه كثير من الأحوال إلا دين الله تعالى الذي لا يتبدل ولا يتغير وخير شاهد على ذلك تلك البقعة المباركة، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها) (٢)، قال النووي (أى مسجدى مكة والمدينة) (٣) ، فمهما كثر الظلم فإن الإيمان له مركز يشع نوره، ويملأ الأرض بالإيمان من حوله، تماما مثلما وصف القرآن شجرة الزيتون إذ يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور، فهي تضئ النور لمن حولها دون أن يصيبها عطب أو فساد.

---

١) إبراهيم: ٣٧

٢) رواه مسلم ج١ ص ٣٥١ رقم ٢٠٩.

٣) شرح النووي على مسلم ج٢ ص ١٧٧.

المبحث الثالث

من الدلالات العلمية للآيات القرآنية الكريمة في مطلع سورة التين :

أولا : في القسم بالتين :

يبدو ـ والله أعلم ـ أن القسم بالتين جاء لتنبيهنا إلى ما في هذه الثمرة المباركة من إعجاز في خلقها، ومن منافع جمة في تناولها كغذاء .

كذلك ثبت أن للتين فوائد عديدة في إدرار اللبن، وفي علاج حالات البواسير، والإمساك المزمن، والنقرس، وأمراض الصدر، واضطراب الحيض، وحالات الصرع، وتقرحات الفم، والتهابات كلٍ من اللثة واللوزتين والحلق، وفي علاج مرض البهاق، وفي إزالة الثآليل، وفي اندمال الجروح والتقرحات المختلفة، ولذلك روى أبو الدرداء ت رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " لو قلت: إن فاكهة نزلت من الجنة قلت التين، لأن فاكهة الجنة بلا عجم، كلوا منه فإنه يقطع البواسير وينفع النقرس ".

من هنا كان القسم بالتين في القرآن الكريم وتسمية سورة من سوره باسم سورة التين .

قال ابن القيم فى زاد المعاد : "يجلو رمل الكلى والمثانة ويؤمن من السموم وهو أغذى من جميع الفواكه وينفع خشونة الحلق والصدر وقصبة

الرئة ويغسل الكبد والطحال وينقى الخلط البلغمى من المعدة ويغذو البدن غذاء جيدا"[١]

ثانيا : في القسم بالزيتون :

جاء ذكر الزيتون وزيته في سبعة مواضع مختلفة من كتاب الله، منها القسم به مع التين في مطلع سورة التين، وشجرة الزيتون شجرة مباركة وكذلك ثمرتها، فهي شجرة معمرة قد تعيش لأكثر من ألف سنة، وتعتبر من أهم نباتات الزيوت، ويعتبر زيتها من أصح الزيوت لاحتوائه على نسبة ضئيلة من الأحماض الدهنية، وأن ما به من دهون هي دهون غير مشبعة، ولذلك لا تتسبب فيما تتسبب فيه بقية الزيوت من ارتفاع نسبة الدهون الضارة بالدم مما يؤدي إلى تصلب الشرايين وضيقها وانسدادها، وارتفاع ضغط الدم، وغيرها من الأمراض .

ذكر الآلوسى فى فوائده ما ملخصه أنه إدام ودواء ويصفى الأخلاط ويشد الأعصاب ويفتح السدد ويخرج الدود والأدرار ويفتت الحصى ويصلح الكلى شرباً بالماء الحار وشجرته من الشجرة المباركة المشهود لها فى التتريل[٢] ، إلى غير ذلك من الفوائد التى ذكرها العلماء فى كل من التين والزيتون.

---

١) انظر زاد المعاد لابن القيم جـ٣ ، ص ١٥٩

٢) انظر روح المعانى ، جـ٣٠ ، ص١٧٤

لذلك كله، ولغيره الكثير مما لا نعلم من أسرار الزيتون، ومن هنا كان التين والزيتون معاً يكملان حاجة الإنسان من المواد الغذائية، ومن هنا أيضاً كان القسم بهما معا في مطلع سورة التين، وهي لفتة علمية معجزة في كتاب أنزل من قبل ألف وأربعمائة من السنين[١] .

ثالثا : القسم بطور سينين :

وهو طور سيناء، أو جبل موسى، أو جبل المناجاة الذي أنزلت فيه التوراة على موسى . عليه السلام . وقد ذكره ربنا . تبارك وتعالى . في اثنتي عشرة آية من آيات القرآن الكريم (البقرة:٦٣,٩٣، النساء:١٥٤، الأعراف:١٤٣,١٧١، مريم:٥٢، طه:٨٠، المؤمنون:٢٠، القصص:٢٩,٤٦، الطور:١، التين:٢)، وسميت باسمه إحدى سوره (سورة الطور)، وهو بالقطع مكان مبارك، جدير بالقسم به، ويبقى لعلماء الأرض دراسته لإثبات ما به من معجزات حسية باقية عن عملية دكه، ورفعه، ونتقه فوق العصاة من بني إسرائيل كما جاء في أكثر من آية من آيات القرآن الحكيم .

رابعا : القسم بالبلد الأمين :

وهو مكة المكرمة، وبها الكعبة المشرفة، أول بيت وضع للناس، وإذا كانت الأرض في مركز الكون، والكعبة المشرفة في مركز الأرض الأولي . اليابسة . ومن دونها ست أرضين، ومن حولها سبع سماوات، فإن الكعبة

١) انظر روح المعانى للألوسي، جـ٣٠ ، ص١٧٤

المشرفة تصبح في مركز الكون، قال تعالى :﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[1]

واختار الله ـ تعالى ـ مكة المكرمة مولداً ومبعثاً لخاتم الأنبياء والمرسلين ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأقسم بها في كلٍ من سورة التين، وسورة البلد التي سماها باسمها، وأطلق عليها وصف (أم القرى) أي أصل اليابسة، وأم الأرض كلها، ومن هنا كانت جدارتها للقسم بها وبوصف البلد الأمين في سورة التين. وبالاسم المطلق البلد في سورة البلد .

هذه الحقائق العلمية عن كلٍ من التين والزيتون، وعن مكة المكرمة ـ البلد الأمين ـ والحقائق التاريخية والدينية عن نداء الله ـ تعالى ـ لعبده ونبيه موسى بن عمران ـ عليه السلام ـ من جانب الطور الأيمن لم تكن معروفة لأهل الجزيرة العربية، ولا لأحد من الخلق في زمن الوحي من قبل ألف وأربعمائة من السنين، ولا لقرون متطاولة من بعده، والقسم بها في سورة التين مما يقطع بأن القرآن الكريم لايمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ ويجزم بنبوة النبي الخاتم والرسول الخاتم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبأنه كان حتماً موصولاً بالوحي، ومعلَّماً من قبل خالق السماوات والأرض[2].

---

١) – سورة الأنعام الآية ٩٢

٢) – موقع فضيلة الدكتور زغلول النجار/www.elnaggarzr.com

المبحث الرابع

تذكير الإنسان بتكريم الخالق عز وجل له وجعله في أحسن تقويم

قوله تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾:

الله عز وجل يصرح بأصل الفطرة بعد أن كنى بها، ويؤكد بأنه سبحانه أحسن في خلق الإنسان، وأحسن تقويمه، فهداه إلي الفطرة السليمة، التي فطر الناس عليها جميعا بلا استثناء، قال سبحانه ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] ، حيث تتمثل هذه الفطرة في دين الإسلام، ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾[2] ، الذي هو صبغة الله التي صبغنا بها يقول سبحانه ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾[3] ، والصبغات لا تتبدل ولا تتغير إلا بمشقة، والعجيب أن تتبدل هذه الصبغة بيسر، فإذا تبدلت، فإن ذلك يعد أشد انتكاسة للفطرة حينما تصطبغ بغير صبغة

---

١) الروم: ٣٠

٢) آل عمران: ١٩

٣) البقرة: ١٣٨

الإسلام، قال سبحانه ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[1] .

وقال عامة المفسرين، قال ابن العربي: ليس لله تعالى خلق أحسن من الإنسان، فإن الله خلقه حياً عالماً قادراً مريداً متكلماً سميعاً بصيراً مدبراً حكيماً، وهذه صفات الرب سبحانه، وعليها حمل بعض العلماء قوله – صلى الله عليه وسلم –: « إن الله خلق آدم على صورته »[2] يعني: على صفاته التي تقدم ذكرها[3] ، وقال – صلى الله عليه وسلم – (لا تقولن قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فإن الله عز وجل خلق آدم – صلى الله عليه وسلم – على صورته) [4] ، فهذا التعبير "على صورته" لا يقتضي مماثلة الصورة للصورة، ولا الصفة للصفة، قال تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[5] ، ويدل على ذلك قوله – صلى الله عليه وسلم –: " إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم

---

١) سورة آل عمران: ٨٥

٢) رواه البخاري ج١٩ص٢٣٦ رقم ٥٧٥٩، وصححه الألباني:السلسلة الصحيحة ج٣ ص ٦٤ رقم ١٠٧٧.

٣) فتح القدير للشوكاني ج٨ ص ٢٥.

٤) الأدب المفرد للبخاري ج١ ص ٧١ رقم ١٧٣ وحسنه الألباني.

٥) سورة الشورى: ١١

الذين يلونهم على أضوء كوكب في السماء "[١]، ومعلوم أن هذه الزمرة ليست مماثلة للقمر"[٢] ، والمعنى المطلوب للفهم هو أن الله تعالى خلق آدم على صفة الرحمن، فخصه من بين المخلوقات بأن جعله جامع للكثير من صفات الله تعالى لا على وجه المطابقة أو المماثلة ولكن من حيث جنس الصفة، فجعله سميعا بصيرا موصوفا بالحكمة والقوة والقدرة على الغضب والرضا إلى غير ذلك من الصفات، وهو الأمر الذي له معنى دلالي هام، ألا وهو حب الله تعالى لعباده، ولذلك قسم لهم من الصفات الربانية ما يجعلهم أهلا لحمده سبحانه وتوحيده بإخلاص رغم ما ابتلاهم به من نزعات حيوانية وأخرى عدوانية، حيث يُعبِّد المسلمُ مشاعرَه وشهواته وأهواءه لله تعالى، فعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم،وإن الله يؤتي المال من يحب ومن لا يحب،ولا يؤتى الإيمان إلا من أحب،فإذا أحب الله عبدا أعطاه الإيمان فمن ضن بالمال أن ينفقه وهاب العدو أن يجاهده والليل أن يكابده فليكثر من قول لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله (٣).

ومن طريف ما يروى في هذا الشأن قصة ذكرها القرطبي في تفسيره: "..... كَانَ عِيسَى بْنُ مُوسَى الْهَاشِمِيُّ يُحِبُّ زَوْجَتَهُ حُبًّا شَدِيدًا فَقَالَ لَهَا

---

١) متفق عليه.

٢) رواه البخاري ج١١ ص ٢٤ رقم ٢٠٠٧.

٣)رواه الطبراني في المعجم الكبير ج٩ ص٢٠٣رقم ٩٠٠٩ وصححه الألباني: صحيح الترغيب والترهيب ج٢ص١١٣رقم١٥٧١.

يَوْمًا: أَنْتِ طَالِقٌ ثَلَاثًا إِنْ لَمْ تَكُونِي أَحْسَنَ مِنَ الْقَمَرِ، فَنَهَضَتْ وَاحْتَجَبَتْ عَنْهُ، وَقَالَتْ: طَلَّقْتَنِي!. وَبَاتَ بِلَيْلَةٍ عَظِيمَةٍ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى دَارِ الْمَنْصُورِ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، وَأَظْهَرَ لِلْمَنْصُورِ جَزَعًا عَظِيمًا، فَاسْتَحْضَرَ الْفُقَهَاءَ وَاسْتَفْتَاهُمْ. فَقَالَ جَمِيعُ مَنْ حَضَرَ: قَدْ طُلِّقَتْ، إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ، فَإِنَّهُ كَانَ سَاكِتًا. فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ: مَا لَكَ لَا تَتَكَلَّمُ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ. وَطُورِ سِينِينَ. وَهذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ. لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ. يَا أمير المؤمنين، فالإنسان أحسن الأشياء، ولا شي أحسن منه. فقال المنصور لعيسى ابن مُوسَى: الْأَمْرُ كَمَا قَالَ الرَّجُلُ، فَأَقْبِلْ عَلَى زَوْجَتِكَ. وَأَرْسَلَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ إِلَى زَوْجَةِ الرَّجُلِ: أَنْ أَطِيعِي زَوْجَكِ وَلَا تَعْصِيهِ، فَمَا طَلَّقَكِ ، فَهَذَا يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ أَحْسَنُ خَلْقِ اللَّهِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، جَمَالَ هَيْئَةٍ "[1]

قوله تعالى ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾:

و هنا يبدأ المولى سبحانه بتذكير الإنسان بأول خسران له، وذلك عندما عصى أدم ربه، وكلنا يعلم أن آدم أسكنه الله تعالى الجنة، وجعله بها حتى وقت وقوعه في غواية الشيطان، فلما عصى آدم ربه بأكله من الشجرة رده الله إلى الأرض التي خلق منها، فنزل من الجنة إليها، قال

١) القرطبي ، (المتوفى : ٦٧١ هـ) : " الجامع لأحكام القرآن " ، تحقيق : هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م ،ج٢٠ ، ص : ١١٤

سبحانه ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ (١) ، ولم ينعم بالاستقرار الحقيقي، حيث ظلت العداوة بين الآدميين إلى يوم القيامة، ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾، وإنما كانت مستقرا ومتاعا من حيث ما يطلبه بنو آدم لأنفسهم من السعي لطلب الرزق، فمهما سعي الإنسان وعانى من المشقة ما عانى كان تحصيله للرزق والمتاع لا يتجاوز ما قضاه الله تعالى وقدَّره ﴿ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ (٢) .

فالآية التي نحن بصددها تشير إلى أن النفس البشرية لما تدنست بفعل المعصية كان جزاؤها الهبوط إلى مكان تتشبع فيه الأجساد من المادة بيد أنها لا تشبع، ﴿ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾، قال تعالى ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (٣) ، فالذي حمله على الأكل من الشجرة المحرمة هو استشعار الحاجة إليها، وعدم تذكر أن الله تعالى

---

١) البقرة: ٣٦
٢) البقرة: ٣٦
٣) الأعراف: ٢٢

أغناه عنها بإحسان خلقه له، وأنه لم يكن بحاجة إليها لو نفذ أمر الله تعالى بالامتناع عن أكلها، لكنه لما ذاقها لم يشبع منها، وإنما ازداد جوعا وفقرا وحاجة حتى إنه لم يقدر أن يستر عورته إلا بورق الشجر ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[1] ، فكلما استجابت النفس لمتطلبات هذا الجسد دون حد أو قيد كلما سفلت ولم تزك، والعكس كذلك صحيح، وهنا يبدأ الابتلاء الذي ابتلاه الله تعالى للإنسان، حيث يقاس مدى استجابة ابن آدم لمتطبات جسده وشهواته التي أخرجته من الجنة، أم أنه سوف يأخذ على نفسه ليحملها على طاعة الله تعالى، فلا يلبي من مطلبات جسده إلا بحسب القدر الذي أمر الله به دون إسراف أو تقتير.

وفي ذلك – أيضا – إشارة إلى الطبيعة المادية التي خلق منها الإنسان، فهو كائن مكون من جسد وروح، فالجسد يستمد أصل نشأته من الأرض، وله متطلبات مادية لبقائه، أما الروح فهي أمر لا يعلم كنهه وسره إلا الله سبحانه، بيد أن المعلوم عنها أنها إما أن تُزكى وتُدس، فهي إما أن تستجيب لمتطلبات الجسد دون ضابط من الشرع وهنا بلا شك سوف تهبط إلى أسفل سافلين، كما قال سبحانه ﴿ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ

١) الأعراف: ٢٦

﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾[1] ، أو تستجيب لنداء ربها فتزكو إلى مصاف الملائكة المقربين في أعلى عليين، قال النبي – صلى الله عليه وسلم – (يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه)[2]، فلا يستقيم أن ينشغل قلب المؤمن إلا بأحدهما دون الآخر، ولم يجعل المولى سبحانه في صدر الإنسان إلا قلبا واحدا، ولذلك قال العلماء: (على المسلم أن يقطع عن قلبه جواذب الدنيا، فإن المجذوب الى أسفل سافلين لا ينجذب الى أعلى عليين وكل مهموم بالدنيا فهو منجذب إليها) [3]، وقالوا (نظرك إلى الأكوان يحطك إلى أسفل سافلين ونظرك إلى المكون يرفعك إلى أعلى عليين) [4] .

قوله تعالى ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ :

والمقصد من الاستثناء أنهم وإن كانوا بأجسادهم في دار الدنيا التي هي مهبط آدم، فإنهم بأرواحهم في ملأ عند الله تعالى مع الملائكة المقربين، كما في الحديث السابق الإشارة إليه (وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في

---

١) الأعراف: ١٧٩

٢) رواه البخاري ج ٦ ص ٢٦٩٤رقم ٦٩٧٠.

٣) أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ج٤ ص ٧٧.

٤) شرح الحكم العطائية ج١ ص ١٦٣.

نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه) [١] ، فالمؤمن وإن كان يعيش بجسده في حيز الدنيا والحياة الأرضية، فإنه يرقى بروحه إلى أعلى عليين في ملأ مع ربه سبحانه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال (من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر)، وذلك قوله تعالى (ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا)، قال (الذين قرؤوا القرآن)[٢] .

والمقام هنا ليس مقام جزاء أخروي، وإنما هو مقام امتحان وبلاء، ولذلك ينصرف الاستثناء إلى الرسوب فيه، فهو مقام امتحان في دار أقل من دار، ومستوى أقل من مستوى، فإذا كان امتحانه الأول في الجنة بتنفيذ نهي واحد – وهي أرض لا يجوز فيها مجرد المعصية ولذلك سميت بالجنة مجازا – فبمجرد المعصية يتبدل الحال، والمآل، قال سبحانه ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾[٣] ، فإنه بنزول آدم إلى أرض الدنيا شرع في الامتحان الثاني حيث يتنوع الابتلاء، وليتلقى آدم من ربه كلمات ليتوب عليه، وقد تلقاها وسأل الله تعالى التوبة فتاب عليه، فكان هذا الهبوط لأجل أن يدخل الإنسان في امتحان

---

١) رواه البخاري ج ٦ ص ٢٦٩٤رقم ٦٩٧٠.

٢) رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الإسناد ج٢ص٥٧٦ رقم ٣٩٥٢ وصححه الذهبي في التلخيص، وصححه الألباني: صحيح الترغيب والترهيب ج٢ ص ٨١.

٣) طه: ١٢١

التوبة والاستغفار، قال سبحانه ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ (١).

وهذا من قبيل تلقين آدم معنى التوبة والاستغفار، حيث تتوافر فيه المقومات والقدرات والمؤهلات لدخول هذا الاختبار، والذي فيه تشد الجواذب الأرضية الإنسان لمعصية الله عز وجل، حيث تتغير طبيعة الجسد فتزداد استعارا بالشهوات الحيوانية والقوى الغضبية والشرور النفسية، ولا فكاك للإنسان من ذلك كله إلا أن يتذكر فطرته السليمة فيقاوم شهواته ورغباته ويظل ثابتا على العهد مع الله تعالى دون أن يبدل دينه، يقول النبي – صلى الله عليه وسلم – (والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم) (٢)، فإذا ما وقع الإنسان في المعصية، فهنا لن يطرد من الدنيا كما كان الجزاء من قبل وإنما يسمح له في تلك الدار أن يعيد تجديد العهد ليستغفر ربه فيتوب عليه، يقول العلماء (الله يحب أن يعفو فالقصد من زلل المؤمن ندمه، ومن تفريطه أسفه ومن اعوجاجه تقويمه ومن تأخيره تقديمه والخبر مسوق لبيان أن الله خلق ابن أدم وفيه شموخ وعلو وترفع، وهو ينظر إلى نفسه أبدا وخلق العبد المؤمن لنفسه، وأحب منه

١) طه: ١٢٢

٢) رواه مسلم في صحيحه ج١٣ ص ٣٠١ رقم ٤٩٣٦.

نظره له دون غيره) [١] ، وقالوا (ولاستلزام هذه الصفة الإلهية – المغفرة – وجود المعصية في الأفراد البشرية، والمعنى لو كنتم معصومين كالملائكة لذهب بكم، وجاء بممن يأتي منهم الذنوب لئلا يتعطل صفات الغفران والعفو) [٢] .

وعندما تزكو نفس الإنسان فلا شك أنه عندئذ يعد من المفلحين الفائزين، حيث ينال أجرا غير مقطوعا من قبول التوبة والاستغفار، ورضى الله تعالى عنه، وليس ثمة أجر أعظم من ذلك، فعن النبي – صلى الله عليه وسلم – فيما يحكي عن ربه عز وجل قال أذنب عبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال أي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى عبدي أذنب ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال أي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب اعمل ما شئت فقد غفرت لك[٣].

---

١) المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير ج٥ ص ٤٢١.

٢) الشيخ ولي الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب العمري التبريزي– مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح ج٨ ص ٥٣.

٣) رواه مسلم ج١٣ ص ٢٣١ رقم ٤٩٥٣.

المبحث الخامس

عدل الله تعالى في الحساب والجزاء

جاء الخطاب في ختام سورة التين موجهاً إلى كل كافر ومشرك بصيغة من صيغ الاستفهام الاستنكاري التوبيخي التقريعي، يقول فيها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ . أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾[1].

فأي شئ يضطرك أيها الكافر أو المشرك إلى الكفر بالله ـ تعالى ـ أو الشرك به بعد ما تبينت لك شواهد قدرته المبدعة في الخلق، والدالة دلالة قاطعة على قدرته على البعث بعد الموت، وعلى الحساب والجزاء في الآخرة، وهي من الحقائق التي نزلت بها كل رسالات السماء، وأكدتها الرسالة الخاتمة المحفوظة بحفظ الله، مما يضع كل كافر ومشرك وظالم في هذه الحياة في مصاف المكذبين بالدين، المنكرين لحقيقة أن الله ـ تعالى ـ هو أحكم الحاكمين، الذي أتقن كل شئ خلقه، وأحكم قضاء كل أمر بالحق، وبالعدل بين الخلق، والاستفهام في ختام هذه السورة المباركة هو من نوع الاستفهام التقريري لما جاء بعد النفي، ولذلك يروى عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله الشريف:" .. فإذا قرأ أحدكم

---

١) التين:٨,٧

والتين والزيتون فقرأ آخرها": ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ "فليقل : بلي وأنا على ذلك من الشاهدين ﴾[1] .

وهناك أدلة كثيرة من القرآن الكريم على من أنكر البعث والجزاء منها

١) دليل الحكمة من خلق الإنسان وأنه لم يخلق عبثاً :

استدل سبحانه على البعث بخلق الإنسان، وأنه لم يخلق عبثاً فقال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴾[2] ، وقال سبحانه : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾[3].

فاحتج سبحانه وتعالى أنه لا يتركه مهملاً عن الأمر والنهي، والثواب والعقاب وأن حكمته وقدرته تأبى ذلك أشد الإباء، فإن من نقله من النطفة إلى العلقة، ثم إلى المضغة، ثم شق سمعه وبصره، وركب فيه الحواس، والقوى، والعظام والمنافع، والأعصاب والرباطات التي هي أشده، وأحكم

---

١) أخرجه الترمذي وأبو داوود في سننهما ، وأحمد في مسنده
٢) المؤمنون: ١١٥
٣) القيامة: ٣٦-٤٠

خلقه غاية الإحكام، وأخرجه على هذا الشكل والصورة، التي هي أتم الصور، وأحسن الأشكال، كيف يعجز عن إعادته وإنشائه مرة ثانية ؟ .

أم كيف تقتضي حكمته وعنايته به أن يتركه سدى؟ فلا يليق ذلك بحكمته، ولا تعجز عنه قدرته، فانظر إلى هذا الاحتجاج العجيب، بالقول الوجيز، الذي لا يكون أوجز منه، والبيان الجليل الذي لا يتوهم أوضح منه، ومأخذه القريب الذي لا تقع الظنون على أقرب منه(١).

٢- الاستدلال بالعدالة الإلهية والضرورة الأخلاقية

وذلك بأنه كثيراً ما يموت الظالمون دون أن يقتص منهم، ويموت المظلومون دون أن يقتص لهم، ويأخذوا حقهم فليس من الحكمة ولا من لوازم العدالة أن لا يكون هناك جزاء للإنسان من إثابة المطيع على طاعته والمحسن على إحسانه، وعقاب العاصي على معصيته، والمسيء على إساءته، حتى لا يستوي المحسن والمسيء، وإذا لم يتحقق هذا في الدنيا فلا بد أن يتحقق في الآخرة.

يقول تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾[٢] ، ويقول سبحانه : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ

١) راجع شرح العقيدة الطحاوية، ج٢، ص٥٩٧.
٢) إبراهيم: ٤٢

كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[1].

يقول فخر الدين الرازي: "لو لم توجد القيامة؛ لتعطل استيفاء حقوق المظلومين من الظالمين؛ ولتعطل توفية الثواب على المطيعين، وتوفية العقاب على الكافرين، وذلك يمنع من القول بأنه تعالى ما خلق السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق[2] .

١) الجاثية: ٢١

٢) راجع التفسير الكبير، ج٧، ص١٨٩.

الخاتمـــة

أهم النتائج

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات فقد انتهيت بتوفيق الله وفضله من كتابة هذا البحث المتواضع إلى هذه الخاتمة

أن سورة التين والزيتون ترمز للفطر السليمة والفطر التي تفسد بمرور الزمان، فتصورهما بنبتين ومكانين، فأما النبتين فهما التين والزيتون، و أما المكانين فهما طور سيناء ومكة المكرمة.

وتذكر الإنسان بأصل نشأته التي خلقه الله تعالى، حيث قومه فأحسن تقويمه، لكنه لم يلبث على هذا الحال كثيرا، فسرعان ما عصى آدم ربه فغوى، فظهرت سوأته وهبط إلى الأرض، إلى أسفل سافلين، حيث شارك الحيوانات شهواتها ونزعاتها، ولكن الله تعالى استثناءه من الاسترسال في الغواية بالمغفرة والتوبة، فصعد بذلك إلى أعلى عليين.

وقد توصلت إلى كثيرمن الفوائد المستنبطة من هذه السورة الكريمة أهمها:

الفائد الأولى: أن لله – تعالى – أن يقسم بما شاء من مخلوقاته.

الفائدة الثانية: ترابط الشرائع السماوية، وأن دين الله واحد.

الفائدة الثالثة: أن الأصل سلامة الإنسان، واستواء خلقه، ظاهرًا وباطنًا.

الفائدة الرابعة: إفساد الكافر لفطرته السوية، وتغييره لخلق الله.

الفائدة الخامسة: أن الإيمان يحفظ الفطرة السوية وينميها.

الفائدة السادسة: اقتران العمل بالإيمان، وأنه لا إيمان بلا عمل.

الفائدة السابعة: سعة فضل الله، وعطاءه.

الفائدة الثامنة: إثبات الجزاء، والحساب، إذا قلنا إن المراد بالدين الجزاء.

قائمة المصادر والمراجع

١. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود الزمخشري ، ط الأولى ، ١٣٩٧ – ١٩٧٧ ، دار الفكر .
٢. تفسير القرآن العظيم ، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير ، تحقيق عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢-٢٠٠١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
٣. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الطبعة الأولى ١٤٢٤- ٢٠٠٣ ، دار عالم الكتب ، الرياض .
٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين ، السيد محمود الألوسي البغدادي ، ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢-٢٠٠١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٥. زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية د ت.
٦. صحيح مسلم بشرح النووي ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٧-١٩٢٩ ، الطبعة المصرية بالأزهر .
٧. صفوة التفاسيرد/محمد علي الصابوني دار القرآن الكريم بيروت د ت.
٨. فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، للحافظ أحمد بن علي بن حجر

العسقلاني ، حقق أصولها وأجازها الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، الطبعة ١٤١٤-١٩٩٣ ، دار الفكر، بيروت .

٩. فتح القدير (تفسير الشوكاني) للعلامة محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق عبد الرزاق المهدي، مراجعة د. محمد الاسكندراني وأحمد إبراهيم زهوة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠-١٩٩٩ ، دار الكتاب العربي، بيروت .

١٠. لسان العرب ، للعلامة أبي الفضل جمال الدين ابن منظور ، الطبعة الثالثة ١٤١٤-١٩٩٤ ، دار صادر ، بيروت .

١١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، للإمام برهان الدين البقاعي ، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق المهدي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥-١٩٩٥ ، دار الكتب العلمية، بيروت .

والله الموفق للخير والهادي إلى سواء السبيل،،،